وستمائة، وأحضر على الرشيد العطار سنة ٦٥٨. وبدمشق على ابن عبد الدائم، وعلى جدّه لأمه المسلم بن عَدْلان، وعلى ابن أبي اليُسر. وتفقّه على التاج ابن الفِرْكَاح. وأخذ بمصر عن شمس الدين الأصبهاني. وكتب في ديوان الإنشاء. وكان جيد الخطّ، فائق النظم والنثر، سريع الكتابة جدّاً، حتى قيل: إنه كتب خمس كراريس في يوم، وكان فصيح العبارة، طويل الدروس، ينطوي على دين وتعبد ومكارم. وولي قضاء دمشق سنة (٧٠٢)، ودام فيه إلى أن (مات) في شهر ربيع الأول سنة ٧٢٣ ثلاثٍ وعشرين وسبعمائة. وطالت مدته، وكان كثير التودد والمكارم والمواددة (قال ابن الزملكاني): كان طلق العبارة لا يكاد يتكلم في فن إلَّا ويذكر دروساً طويلة. ولم يزل في نُموٍّ وارتفاع إلى أن (مات) في التاريخ المذكور بحماة. ولشعراء عصره فيه غرر المدائح، كالشهَاب محمود، والجمال بن نباتة، وغيرهما. وخرج له العلائي مشيخة فأجازه بجملة دراهم، وأول ما درّس بالعادلية سنة (٦٨٢)، ثم درّس بالأرمستية، ثم درّس بالغزالية، ثم ولي قضاء العسكر، ومشيخة الشيوخ، ثم القضاء الأكبر بدمشق في التاريخ السابق، وكان يتفضل على كل من قدم إليه من كبير وصغير. وهداياه لا تنقطع عن أهل الشام، ولا عن أهل مصر مع التودد والتواضع الزايد والحلم والصبر على الأذى. هجاه ابن المرجل بأبيات فتحيّل حتى وصلت إليه بخط الناظم، فاتفق أنه دخل عليه فغمز مملوكه فوضع الأبيات أمامه مفتوحةً، فلما جلس ابن المرجل لمحها فعرفها. فلما تحقق القاضي أنه عرفها أشار برفعها، ثم أحضر له قماش وصرّة فضة وقال له: هذه جائزة الأبيات، فأخذها ومدحه. ودخل عليه شاعر ومعه قصيدتان في إحداهما هجو، وفي الأخرى مدح، وأضمر أن يعطيه المدح، فإن أرضاه، وإلَّا أعطاه الهجو، فغلط فأعطاه الهجو فقرأه، وأعطاه جائزة، وأوهم من حضر أنه مدح، فلما خرج الشاعر وجد قصيدة المدح، فعاد ودفعها إليه، وأظهر الاعتذار، فما واخذه.

٦٥

(أحمدُ بن مُحمَّد بن عبد الكريم ابن عَطاء اللَّه تاج الدين أبو الفَضْل الإسكندرانيّ الشاذليّ)[١]

صحب الشيخ أبا العباس المُرسي[٢] صاحب الشاذلية، وصنّف مناقبه، ومناقب

(١) ترجمته في: شذرات الذهب: ٦/ ١٩؛ تاريخ الأدب العربي، فروخ: ٣/ ٧٠٠؛ معجم المؤلفين: ٢/ ١٢٠؛ الدرر الكامنة: ١/ ٢٧٣؛ كشف الظنون: ٥٠٢؛ ١٥٥٤؛ إيضاح المكنون: ١/ ٩٣، ٢/ ٤٦٩.

(٢) هو أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن عمر المرسي: فقيه، متصوف، من أهل الإسكندرية، وكان لأهلها فيه اعتقاد كبير. أصله من مرسية بالأندلس. توفي سنة ٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م. (الأعلام: ١/ ١٨٦).

شيخه. وكان المتكلم على لسان الصوفية في زمانه، وهو مِمّن قام على الشيخ تقي الدين بن تيمية فبالغ في ذلك. وكان يتكلم على الناس، وله في ذلك تصانيف (قال الذهبي): كانت له خلال عجيبة ووقع في النفوس، ومشاركة في الفضائل. ورأيت الشيخ تاج الدين الفارقي لما رجع من مصر معظماً لوعظه وإشارته. وكان يتكلم بالجامع الأزهر، يمزج كلام القوم بآثارٍ عن السلف، وفنون من العلم، فكثر أتباعه. وكان عليه سيماء الخير، ويقال: إن ثلاثة قصدوا مجلسه، فقال أحدهم: لو سلمت من العائلة لتجرّدت، وقال الآخر: أنا أصلي وأصوم ولا أجد من الصلاح ذرَّةً، فقال الثالث: إنَّ صلاتي ما ترضيني، فكيف تُرضي ربّي. فلما حضروا مجلسه قال في أثناء كلامه: ومن الناس من يقول فأعاد كلامهم بعينه. ومن جملة من أخذ عنه الشيخ تقي الدين السبكي. وقال الكمال جعفر: سمع من الأبرقوهي وقرأ النحو على المُحيي، وشارك في الفقه والأدب، وصحب المرسي، فتكلم على الناس، فسارعت إليه العامة، وكثير من المتفقهة، وكثر أتباعه (قال أبو حيان)، وقال الكمال ابن المكين: حكى له المراكشي قال: كنت أصحب فقيراً فحضر إليه الخليلي الوزير يزوره، فقال له: جاءني ابن عطاء اللَّه فقال لي الليلة ترى النبي ﷺ في المنام، فاجعل بشارتي أن توليني الخطابة بالإسكندرية. فمضت الليلة وما رأيت شيئاً، وقد عزمت على ضربه، فلم يزل الفقير يتلطف به حتى عفا عنه. وإذا صحّ هذا فهو محتالٌ وليس من الرجال، وهو صاحب الحكم المشهورة الآن بحكم ابن عطاء اللَّه التي يلهج كثير من متصوفة زمننا بحفظ كلمات منها. ومات في نصف جمادى الآخرة سنة ٧٠٩ تسعٍ وسبعمائة.

٦٦

(أحمدُ بن مُحمَّد بن عُثمان الأزدي العَدَوي، أبو العبَّاس، ابن البناء)[1]

أخذ عن قاضي الجماعة مُحمَّد بن علي المراكشي؛ وأبي عبد اللَّه مُحمَّد بن أبي البركات، وأبي العباس أحمد بن مُحمَّد المدعو ابن أبي عطاء، وأبي الحسين بن أبي عبد الرَّحمن، وغيرهم. وكان فاضلاً عاقلاً نبيهاً، انتفع به جماعة في التعليم. وكان يشتغل من بعد صلاة الصبح إلى قريب الزوال مدة، إلى أن كان في سنة (٦٩٩) فخرج إلى صلاة الجمعة في يوم ريح وغبارٍ، فتأذى بذلك وأصابه يبس في دماغه، وكان له مدةً لا يأكل ما فيه روح، فبدتْ منه أحوال لم تُعهد، وهيئات عجيبة، وصار يكاشف

(١) ترجمته في: الدرر الكامنة: ١/ ٢٧٨؛ كشف الظنون: ٤٧٢، ٩٤٩؛ إيضاح المكنون: ١/ ١٦١، ١٦٧، ٦٠٨؛ معجم المؤلفين: ٢/ ١٢٦.